

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٢ - سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بوهى مكية وآياتها ثمان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

- [١] (أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرَ)
- [٢] (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)
- [٣] (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)
- [٤] (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)
- [٥] (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ)
- [٦] (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)
- [٧] (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)
- [٨] (ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

« أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرَ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ » أى شغلكم التباهى بالكثرة فى المال والولد ونحوها . فيقول هذا : أنا أكثر منك مالا ، والآخر : أنا أكثر منك ولداً . وهكذا مما يصرف عن الجد فى العمل ، ويطفىء نور الاستعداد وصفاء الفطرة والعقل والسكرات المعنوية الباقية . ذهب بكم التفاخر والتباهى بهذه الأمور الفانية ، من كثرة الأموال والأولاد ، وشرف الآباء والأجداد كل مذهب « حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ » أى حتى هلكتم ومتم وصرت من أصحاب القبور ، فأفنيتم عمركم فى الأعمال السيئة وما تنبأهم طول حياتكم إلى ما هو سبب سعادتهم ونجاتكم . وزيارة القبور عبارة عن الموت .

روى الزمخشري شواهد لها . قال الشهاب : وفيها إشارة إلى تحقق البعث . لأن الزائر لا بد من انصرافه عما زاره . ولذا قال بعض الأعراب لما سمعها : بمشوا ، ورب الكعبة ! وقال ابن عبد العزيز : لا بد لمن زار ، أن يرجع إلى جنة أو نار . وسمى بعض البلغاء المقبرة ، دهليز

الآخرة « كَلَّا » ردع عن الاشتغال بالتكاثر، وتوهم أن الفوز بالتفاخر. فإن الفوز بالتفاخر على الحق والتحلى بالفضائل « سَوْفَ تَعْلَمُونَ » أى مغبة ما أنتم عليه ، فى الآخرة ، من وخامة عاقبة الاشتغال بهذه الشهوات السريعة الزوال ، العظيمة الوبال ، لبقاء تبعاتها .

« ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ » تكرير للتأكيد . و (ثم) للدلالة على أن الثانى أبلغ من الأول . أو الأول عند الموت ، والثانى عند النشور « كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ » أى لو تعلمون ما بين أيديكم من الجزاء ، علم الأمر اليقين ، لكان ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والتحسر على فوات العمر العزيز فى التكاثر ، والذهول عن الحق به . واليقين بمعنى المتيقن ، صفة لمحذوف ، أو صفة للعلم ، على أنه من إضافة الصفة للموصوف ، وحذف جواب (لو) ليطلبه العقل من الشرط وماسبقه ، ليستحكم فيه فضل استحكام . وقوله تعالى « لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ » جواب قسم مضمير ، أكد به الوعيد ، وشدد به التهديد ، وأوضح به ما أذروه تفخيا « ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ » أى الرؤية التى هى نفس اليقين ، فالعين هنا بمعنى النفس ، كفى (جاء زيد عينه) أى نفسه . وإنما كانت نفس اليقين ، لأن الانكشاف بالرؤية والمشاهدة ، فوق سائر الانكشافات . فهو أحق بأن يكون عين اليقين . والتكرير للتأكيد .

قال الإمام : وكفى برؤية الجحيم ، عن ذوق العذاب فيها . وهى كفاية شائعة فى الكتاب العزيز . « ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » أى عن النعيم الذى ألهاكم التكاثر به والتفاخر فى الدنيا . ماذا عملتم فيه ؟ ومن أين وصلتكم إليه ؟ وفيه أصبتموه ؟ وماذا عملتم به ؟ ويدخل فى ذلك ما أنعم عليهم من السمع والبصر وصحة البدن .

قال ابن عباس : النعيم صحة الأبدان والاسماع والأبصار . قال : يسأل الله العباد فيم استعملوا وهو أعلم بذلك منهم . وهو ^(١) قوله (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) قال ابن جرير ^(٢) : لم يخص فى خبره تعالى نوعاً من النعيم دون نوع . بل عم . فهو سائلهم عن جميع النعيم . ولذا قال مجاهد : أى عن كل شئ من لذة الدنيا . وقال قتادة : إن الله عز وجل سائل كل عبد عما استودعه من نعمه وحقه .

(١) [١٧/الإسراء/٣٦] . (٢) انظر الصفحة رقم ٢٨٩ من الجزء الثلاثين (طبعة الحامى الثانية) .